مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 5: 2019.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(27), No.(5): 2019.

أسرة الهوهنزلرن في بروسيا (1701-1861)

(دراسة تاريخية)

نادية جاسم كاظم الشمي
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية/ جامعة بابل
Dr.nadia@uobabylon.edu.iq

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 29 /5/ 2019
تاريخ قبول النشر: 7/25 / 2019
تاريخ النشر: 14 / 12/ 2019

الخلاصة

أوضحت الدراسة ان الأسرة المالكة الألمانية الهوهنزلرن حكمت براندنبورج وبروسيا والإمبراطورية الألمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وكان رئيس الأسرة يعرف بالأمير أو المنتخب في القرن الثالث عشر ثم عرف بلقب ملك بروسيا في مطلع القرن الثامن عشر، ثم لقب إمبراطور ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند اعلان الإمبراطورية وتحقيق الوحدة الألمانية، ولم تكن ممتلكاتها تمثل دولة واحدة، بل كانت مجموعة من الدول ففي الوقت التي كانت فيه براندنبورج وكليف تدخل في نطاق الولايات الألمانية، كانت بروسيا تخضع لمملكة بولندا، والنواة التي بدأت منها بروسيا هي مقاطعة براندنبورج في القرن الثالث عشر، كانت بروسيا الشرقية تجاور بولندا، واتضح ان المشكلة التي واجهت المسؤولين البروسيين الدفاع عن بروسيا أنها مجرد امتداد للسهل البولندي، فلم تكن لبروسيا حدود جغرافية يمكن ان نستند اليها جغرافياً وعسكرياً وسياسياً، ولهذا كانت مسؤولية الحكام من أسرة هوهنزلرن في برلين كبيرة ومعقدة، ولا سيما ان وراثة الهوهنزلرن لبروسيا، لم يؤد الى قطع نهائي لما كان بين بولندا وبروسيا من علاقات قطاعية، ولهذا عمل حكام هذه الأسرة على تكريس جهودهم من أجل التخلص نهائياً من هذه القيود الاقطاعية من خلال دخولها في حروب مستمرة، أما في الشرق فقد ضمت أسرة ال هوهنزلرن دوقية كليف الواقعة على نهر الراين عن طريق الورثة وكونتات مارك ورافسبرغ، ومقاطعات صغيرة في غربي ألمانيا، واتجهت نحو توسيع براندنبورج باتجاه شمال الولايات الالمانية وبذلك توحدت سلطة ال هوهنزلرن في فرع واحد من تلك الأسرة واطلق عليها براندنبورج – بروسيا، "دوقية بروسيا الشرقية " .

الكلمات الدلالة : براندنبورج، مونستر، اوليفا، فهربلن، كلين شفلندورف.

The Hohenzollern Family in Prussia (1861-1701) (Historical study)

Nadia Jasem Kadhim Al-Shammari
Babylon Centre for cultural and historical Studies /University of Babylon

Abstract

The Study explained the German royal family, Hohenzlern, ruled Brandenburg, Prussia, and the German Empire until the end of the First World War. The head of the family was known as the Prince or the elect in the 13th century. He was known as the King of Prussia at the beginning of the 18th century and the Emperor of Germany in the second half of the 19th century When the empire was declared and German unity was achieved, its property was not a single state, but a group of countries. While Brandenburg and Cliff were within the German state, Prussia was subject to the Kingdom of Poland, Russia was the province of Brandenburg in the thirteenth century. Eastern Prussia was bordering Poland. It turned out that the problem faced by the Prussian officials in defending Prussia was just an extension of Polish ease. Prussia had no geographical borders on which to base geographically, militarily and politically. In particular, the inheritance of the Hohenzlern of

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

Prussia did not lead to a final cut of the feudal relations between Poland and Prussia, so the rulers of this family devoted their efforts to the total elimination of these feudal restrictions by entering into continuous wars . In the east, the Hohenzlern family included the Duchy of Cliff on the Rhine through the heirs, Counts of Marks and Ravensberg, and small provinces in western Germany. They moved to expand Brandenburg to the north of the German states. Thus the Hohenzlern was united in one branch of the family, Brandenburg-Prussia, Duchy of East Prussia.

The study revealed that the rulers of Prussia played an active role in the unification of the property of the Hohenzlern and the organization of the German states and coordination with the policies of the European countries allied by taking their rulers plans organized and efficient in order to make their way to the establishment of the modern Kingdom through military alliances, The Holy Roman Empire of the Kingdom of Prussia after it was a Duchy, and the property of the Hohenzlern in the German states was called the Prussian Kingdom, and the rulers of this family continued their wars against the European countries to expand their lands and achieve political unity between the states of Alma Under the leadership of the Hohenzlern family.

Keywords : Brandenberg, Munster, Oliva, Fehrbellin, Klein Schweffendorf.

1- المقدمة

تقتضي الضرورة مواصلة الاهتمام بالكتابة عن الأسر العريقة الأوربية ولا سيما أسرة الهوهنزلرن في بروسيا في المدة ما بين (1701–1861) في إطار دراسة التاريخ الأوربي الوسيط والحديث التي شاركت بصورة أو بأخرى في إيجاد حلولاً للمشاكل التي كانت تعاني مختلف الولايات الألمانية، وكان لها دور فاعل في الاحداث والتطورات السياسية التي مرت بها، وإذا كانت الدراسات التاريخية التي بحثت هذه المدة التي نحن بصدد دراستها ، قد تطرقت إلى دور الشخصيات البروسية ومواقفها ضمن تلك الاحداث، فإن ذلك لا يعني ان أي مطلع يمكنه ان يكون صورة واضحة المعالم والابعاد عن تلك الشخصيات الفاعلة إلا من خلال تتبع الدراسات الواسعة بكل تفاصيلها الدقيقة ومعلوماتها القيمة، والتعرف على كيفية نشوء أراضي هذه الأسرة بزعامة تلك الشخصيات المتميزة، والخطط التي رسمتها والأساليب التي اتبعتها من اجل تجميع ممتلكات ال الهوهنزلرن في دولة ألمانية موحدة بعد ان كانت مجزئة سياسياً وصولاً إلى تحقيق الوحدة السياسية للولايات الألمانية.

2- المبحث الأول :نشأة أسرة هوهنزلرن في بروسيا

استوطن الولايات الألمانية منذ بدء العصور الأوربية الوسطى عدد من القبائل الجرمانية(*) التي هاجمت الدولة الرومانية القديمة في القرون الأولى، وقد ظهر شارلمان Charleman (771-814)م، الذي نجح في تكوين امبراطورية واسعة مترامية الأطراف وتوجّه البابا امبراطورا عام 800 م [1، ص93-96].

وبعد قيام الدولة الرومانية المقدسة على يد شارلمان أثرت في تاريخ الولايات الألمانية عوامل كثيرة منها ان الملكية الألمانية كانت أقوى ملكية في أوربا العصور الوسطى، وقد قسمت الإمبراطورية الكارولنجية بمقتضى معاهدة فردونVerdun عام 843م إلى ثلاث ممالك فرنجية شرقية وغربية ووسطى تطابقت حدودها مع المناطق التي كانت تتكلم لغتها، ما يهمنا فيما يتعلق بموضوع البحث هي المملكة الشرقية التي كانت تتكلم اللغة الالمانية وتولى العرش بعد ذلك الملك الألماني اوتو الاول Otto I عام 962م الذي تمكن من تأسيس

(*) كان الجرمان يقطنون بالقرب من حدود الامبراطورية الرومانية، اذ انتشروا في القرنين الاول والثاني في أواسط أوربا وشرقيها عبر نهري الدانوب والراين وقد اشارت معظم المصادر التاريخية ان الجرمان هم من اصول شرقية، كانوا يسكنون حول الدانوب والراين قبل اختراقهم تخوم الإمبراطورية الرومانية. بينما اشارت مصادر اخرى ان الموطن الأول للعناصر الجرمانية البلاد المحيطة ببحر البلطيق، ومن هناك تحركوا جنوباً ليحلوا محل الكلت Celts، حتى استقروا في المنطق الواقعة بين جبال الالب ونهر الراين، حيث حلت استحكامات الإمبراطورية الرومانية دون مواصلة تقدمهم.

امبراطورية ضمت الجزء الشرقي من امبراطورية شارلمان ومعظم ايطاليا وبعد ان توج في روما إمبراطورا أعاد تأسيس الإمبراطورية الرومانية التي أطلق عليها فيما بعد ((الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية)) [1، ص15-17].

واطلق الملوك الالمان على أنفسهم لمدة ثمانية قرون ((الاباطرة الرومان للامة الالمانية)) [3,P.29]. ولكن سرعان ما تلاشت سلطة الامبرطور واصبحت سلطة صورية، وانقسمت الولايات الألمانية إلى أكثر من (300) ولاية بعضها خاضع للكنيسة وبعضها الآخر يحكمها أمراء، وفي القرن العاشر الميلادي كان هنري الصياد قد اقام حصنا للسكسون عند الحد الشمالي على طول الالب ضد السلاف وانتزع منهم قلعتهم وعاصمتهم برنيبور Bernibor (التي اشتق منها اسم براندنبورج Brandenberg)، وردهم الى الاودر، وظلت الأقاليم الواقعة بين الالب والاودر يتبادلها الألمان والصقالبة [4، ص69].

كانت ممتلكات أسرة الهوهنزلرن Hohenzollern تتكون من منتخب براندنبورج، ودوقية بروسيا، وكليف، التي قد تكونت في مناطق فقيرة مليئة بالمستنقعات، انتقلت إليها هذه الأسرة الحاكمة من إحدى الولايات الألمانية التي سرعان ما حصل حكامها على حق انتخاب امبراطور الامبراطورية الرومانية مقابل مساعدتهم ملك المجر سيجسموند الكبير Sigismund (1540–1570) بالحصول على التاج الامبراطوري ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي كانت أسرة هوهنزلرن قد نشأت أساساً بصفتها مجموعة من الماركات، أي المستعمرات الاقطا عية العسكرية في شرق اوربا واعتمدت على الفرسان الجرمان لوقف العناصر السلافية أو الصقلبية على شرق اوربا، ولكن هذه الممتلكات لم تكن تمثل دولة واحدة، بل كانت مجموعة من الدول ففي الوقت الذي كانت فيه براندنبورج وكليف تدخل في نطاق الولايات الالمانية، كانت بروسيا تخضع لمملكة بولندا، وكانت كل دولة من هذه الدول تحافظ على استقلالها، وظلت ترفض توحيد الإدارة بينها، ولم تكن حدود مشتركة بين هذه الدول الثلاث، وان كانت تشترك في صفات الفقر العام، وقلة السكان، وخضوعها لدول أكبر [5، ص120].

والنواة التي بدأت منها بروسيا هي مقاطعة براندنبورج بين نهري الميز والالب وقد أُنشئت هذه المقاطعة كممر متقدم ضد الهجمات السلافية بين نهر الالب وبولندا، وكان هذا المركز ،يسند الى موظف كبير بلقب "ماركراف Markrav" بوساطة امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، وبسبب نمو قوة الماركراف خلال القرن الرابع عشر – حصل على منصب ولقب ناخب للامبراطور وقد عانت مقاطعة براندنبورج الكثير من الاضطرابات الداخلية حتى أسند الامبراطور سيجسموند عام 1415 حكم هذه المقاطعة إلى فردريك هوهنزلرن وهو أحد الاشراف من سوابيا من جنوب ألمانيا ليكون ناخبا لبراندنبورج، يحق له مع ستة اخرين من الأمراء الدنيين والعلمانيين انتخاب ملك للولايات الألمانية والامبراطور، وهكذا اتخذت اول خطوة مهمة لتشكيل دولة بروسيا [6،ص243].

مارست أسرة هوهنزلرن دوراً كبيراً في تطور براندنبورج كان يعتمد باستمرار على قوة عسكرية اكبر من المتوقع، فقد حرصت هذه الأسرة بأن يكون لديها من الأسلحة النارية ما يمتلكها من ان تمارس دوراً رئيساً في منطقتها وكانت بروسيا تعاني من عدم وجود المقومات لتكوين دولة، فمن حيث القوة البشرية كانت بروسيا الشرقية قليلة السكان بسبب الفقر المنتشر في المنطقة، وعدم توافر ثروة معدنية تساعد على تجمع السكان حولها، أما موقعها الجغرافي في اتجاه شمال شرق أوربا فهي جهات متطرفة وهي مناطق أقل في مستواها الحضاري عن بقية أجزاء أوربا الغربية، وكان الفارق الحضاري بين بروسيا الشرقية وأوربا الغربية واضحاً،

ولكن هناك اجماع لدى المؤرخين الفرنسيين والانكليز على ان هذا الشعب البروسي رغم المستويات المتدنية من الحضارة أعطى لأسرة الهوهنزلرن طاقة بشرية قوية، تطبع حكامها " طاعة عمياء" على حد قول هؤلاء المؤرخين، ومن ناحية الموقع كانت بروسيا الشرقية تجاور بولندا، لكن المشكلة التي واجهت المسؤولين البروسيين الدفاع عن بروسيا انها مجرد امتداد للسهل البولندي، فلم تكن لبروسيا حدود جغرافية يمكن ان نستند إليها جغرافياً وعسكرياً وسياسياً، ولهذا كانت مسؤولية الحكام من أسرة هوهنزلرن في برلين كبيرة ومعقدة، ولا سيما ان وراثة الهوهنزلرن لبروسيا، لم يؤدِ إلى قطع نهائي لما كان بين بولندا وبروسيا من علاقات اقطاعية، ولهذا عمل حكام هذه الأسرة على تكريس جهودهم من اجل التخلص نهائياً من هذه القيود الاقطاعية [7، ص238–239].

وكانت بروسيا في القرن الخامس عشر الميلادي تحت سيطرة ما عرف بجماعة الفرسان التيوتونية أو الجرمانية Knights Order Teutonic (*) الذين امتازوا بالقوة والصلابة، الذين استخدموا الأساليب الوحشية وبذلوا جميع جهودهم لاجبار الشعب البروسي على اعتناق المسيحية وترك الوثنية وقتلت منهم الكثير، واتخذت هذه الجماعة اسم الشعب المحتل واطلق على دولتها بروسيا واصبح يطلق على المستوطنين الألمان والسلاف الذين جلبتهم هذه الجماعة ليسكنوا في البلاد بالبروسيين الشرقيين أو الغربيين نسبة إلى استيطانهم في الضفة الشرقية أو الغربية لمصب نهر الفستولا [8,P.5]; [9,PP. 13–17].

ولم تلبث ان دارت المعارك بين القوى المحيطة بالمنطقة، وكان طبيعياً ان يصطدم هؤلاء الفرسان التيوتون بالدولة الكبيرة المجاورة لهم (بولندا) التي كانت صاحبة الحق في أراضي التيوتون وبعد جهود مضنية من الطرفين احتفظت بولندا بشطر من بروسيا (بروسيا الغربية البولندية)، وانفرد التيوتون بما عرف بروسيا الشرقية وعندما تدهور نظام الفرسان التيوتون، حتى أصبحت بروسيا الشرقية دوقية تحت حكم فرع من فروع أسرة هوهنزلرن الحاكمة في براندنبورج، فكان طبيعياً ان يكون هناك تقارب وطيد بين فرعي الأسرة[6، ص244].

كان حكام براندنورج من آل هوهنزلرن في وضع مضطرب في النصف الأول من القرن السادس عشر، وخلال هذه الازمة وجد ناخب براندنورج ان مصلحته تتركز بالوقوف إلى جانب الأمراء الألمان اللوثريون(**) ضد الامبراطور، بل وتحويل الناخب نفسه إلى اللوثرية ، ورغم الدمار والخراب الذي حل بمقاطعات أسرة هوهنزلرن نتيجة الحروب الدينية، إلا أن انضمام ناخب براندنيورج إلى جانب الأمراء اللوثريين قد أكسبه موقعاً مهماً بين

(*) التيوتون :طائفة عسكرية مسيحية المانية كانوا يلبسون ازياء يضاء عليها صليب لاتيني غزوا بروسيا عام 1226م، وأبادوا سكانها بحجة تحويلهم الى المسيحية وأقاموا فيها مستعمرات يسكنها المان كمقرهم كان في مارينبورغ ثم في كونيغسبرغ، في عام 1242م تمردت القبائل البروسية عليهم فشنت عليه حملة صليبية كانت تتكون من (60) الف الماني وبوهيمي لانقاذ التيوتونيين الذين سيطروا من جديد عام 1260م، وتحولوا للبروتستانتية عام 1525 لكن الطائفة استمرت كاثوليكية في المانيا حتى عام 1805، وكانت اراضيهم على بحر البلطيق تحت سيادة بابا الكاثوليك الاسمية وقد استولت بولندا على اجزاء من اقاليمهم عام 1460.

(**) اللوثريون : هم جماعات البروتستنت التي يرتكز ايمانهم على مبادىء مارتن لوثر ونظرا لعدم تنفيذ الاصلاحات التي اراد تحقيقها في الكنيسة الكاثوليكية، كرس نفسه لقضايا الايمان اكثر مما كرسها للشكليات في الكنائس الانجيلية الناشئة، وكان ابرز القضايا التي حملته على الانفصال من الكنيسة الرومانية العقائد الآتية: الايمان المطلق برحمة الله التي يضمن النجاة من عقاب الله اما الطقوس كالحج والاحتفالات الدينية وايقاد الشموع فلا جدوى منها وان الكتاب المقدس يحوي الدليل الضروري الاوحد الى الحقيقة .

الأمراء الألمان، ومنذ ذلك الوقت اخذ حكام براندنبورج يمارسون دوراً فاعلاً في توجيه الاحداث الأوربية معتمدين على موارد وخيرات المقاطعات وعلى حنكتهم السياسية ودبلوماسيتهم في تشكيل التحالفات العسكرية، وعدم تعريض مقاطعاتهم مع الدول الكبرى [10،ص238]؛ [7،ص238].

وظلت الولايات الالمانية طوال القرن السابع عشر مقاطعات ودوقيات ممالك متناثرة ومتناحرة، غير أن دوقية بروسيا اخذت تمارس دوراً فاعلاً في الشؤون الألمانية التي تعود في أصلها إلى براندنبورج، حيث بدأت تنمو وتزداد مع نجاح اسرة هوهنزلرن في الحكم واتساع ممتلكاتهم، وكان ابرز ما حققته هذه الدوقية هو القضاء على الفوضى والاضطرابات وحالة عدم الاستقرار التي نشرها الفرسان التيوتون وتثبيت دعائم الامن والنظام والاستقرار، ورغم تحول براندنبورج الى اللوثرية واصبحت من الامارات البروتستانتية الرئيسة منذ عام 1539م، فان هذه الامارة قد وقفت موقف الحياد في الصراع بين البروتستانت والكاثوليك في القرن السادس عشر، ووفرت هذه السياسة السلام والوقت من أجل العمل على توسيع مساحة الامارة الجغرافية دول الدخول في حرب، أما في الشرق فقد أخذ البرت فردريك Albert Frederick (1553–1618) من أسرة ال هوهنزلرن يحكم دوقية بروسيا الشرقية التابعة اسميا إلى ملك بولندا منذ عام 1525 الذي زوج ابنته من جون سيحسموند منذ عام 1594م وعندما توفى البرت من دون ان يكون له وريث، انتقل حكم الدوقية إلى سيجسموند عام 1618 الذي ورث دوقية كليف الواقعة على نهر الراين عند الحدود الهولندية من الامبراطورية الرومانية المقدسة، وكونتات مارك ورافنسبرغ، ومقاطعات صغيرة في غربي المانيا، واتجه نحو توسيع براندنبورج باتجاه شمال الولايات الالمانية وبذلك توحدت سلطة ال هوهنزلرن في فرع واحد من تلك الاسرة واصبح يطلق عليها براندنبورج – بروسيا، "دوقية بروسيا الشرقية "، وبذلك أصبح اقليم الحدود نواة لمملكة بروسيا، واصبح جون سيحسموند حاكماً على بروسيا الشرقية وبراندنبورج وكليف، له مكانته في سياسات وسط اوربا [11، ص339-340]; [9, PP.19-22.]؛ [8,PP.18-19].

أخذ حكام هذا الإقليم الذي عرف فيما بعد ببروسيا يمارسون دوراً متميزاً في توجيه الشؤون الألمانية والسياسة الأوربية على حد سواء وبدأت بروسيا تستخدم اساليب وتقنيات مختلفة للبحث عن الطرق التي توصلها نحو المجد والقوة وتأسيس الدولة الحديثة معتمدة في ذلك على تشكيل التحالفات العسكرية، وعدم التورط في الدخول في منازعات مع الدول الاوربية [12، ص77].

وبذلك في الوقت التي أصبحت فيه بروسيا تحت حكم هوهنزلرن براندنبورج كان هؤلاء قد مدوا سيطرتهم على كليفز وعلى بعض أراضي الدويلات الألمانية الصغيرة الواقعة على الراين وبذلك هناك ثلاث مجموعات من المناطق الواقعة تحت حكمهم [6، ص245] :

اولاً: بروسيا الشرقية وتفضلها عن براندنبورج أراضي بروسيا الغربية البولندية وبوميرانيا.

ثانياً: براندنبورج.

ثالثاً: ممتلكات الهوهنزلرن الواقعة على الراين وهي الدوقيات الصغيرة (كليف Cleves، ومارك Mark، ورافنسبرغ Ravensberg).

على هذا النحو كان الهوهنزلرن مسؤولين عن الدفاع عن ممتلكاتهم المتناثرة في وجه قوى كبيرة تقع على مقربة منها، من الشرق(بولندا)، ومن الغرب(فرنسا)، ومن الشمال (السويد)، (والامبراطورية النمساوية) من الجنوب. ان مثل هذه الاوضاع الاستراتيجية والسياسية التي كانت تفرض نفسها على الهوهنزلرن شجعتهم على اتباع سياسة خاصة نحو الدول الكبرى المجاورة، أو نحو الاقاليم الواقعة تحت حكمهم، كما كانت تشجع على ان

يصبح توحيد هذه الوحدات السياسية وترابطها سياسياً وجغرافياً هدف سياسياً من أهداف أسرة الهوهنزلرن [13، ص248–249].

كرست أسرة الهوهنزلرن جميع مساعيها من أجل تحقيق الوحدة السياسية للولايات الألمانية وترابطها، وهذا يتطلب منها الاستيلاء على المقاطعات الفاصلة بين ممتلكات ال هوهنزلرن أو القوى التي كانت تضع العراقيل من اجل اضعاف قوتها، وهذا يتطلب منها حروبا متواصلة، بمعنى اخر يجب على حكام هذا الأسرة تسليحهم تسليحاً عسكرياً ومواصلة الحرب من اجل اضعاف القوى المعتمدة والمسيطرة على ممتلكاتهم، ومن سوء حظ الهوهنزلرن ان نشبت حرب الثلاثين عاما (1618) في نفس العام الذي ضموا إلى حكمهم بروسيا الشرقية ،ومن ثم لم تكن هناك فرصة مناسبة لان يستخدم الهوهنزلرن امكانيات بروسيا الشرقية في تقوية براندنبرج امام القوى المتصارعة في تلك الحرب الطويلة الطاحنة، وانتهت بالتوقيع على الصلح في مونستر Munster في وستفاليا في الرابع والعشرين من تشرين الثاني 1648[7، ص240–241].

خرجت الولايات الألمانية من حرب الثلاثين عاماً مفككة الاوصال مجزئة سياسياً، بل ان صلح وستفاليا أكد على الكيان المستقل للولايات الألمانية التي لكل منها الحق في انتهاج سياسة خارجية خاصة بها وكان الأثر الرئيسي لحرب الثلاثين عاما هو تدمير تدمير مناطق بأكملها تركت جرداء من جراء نهب الجيوش فقد انتشرت المجاعات والامراض وهلك العديد من الالمان وانخفض عدد سكان الولايات الالمانية نحو 30% في المناطق الوسطى ولا سيما في برلين عاصمة الهوهنزلرن من (14) أربعة عشر الف نسمة الى (6) ستة آلاف نسمة، في حين انخفض عدد سكان فرانكفورت من (12) الاثني عشر إلى الفين فقط هذا بالنسبة للمدن، أما بالنسبة للأرياف فقد كانت الخسائر أبشع، فقد تلاشت مئات القرى وباتت مساحات واسعة بأكملها مهجورة [6، ص246].

من المواضيع الذي تناوله صلح وستفاليا هو اقتسام الغنائم بين المنتصرين، فقد حصلت السويد على عدة اسقفيات في الشمال، ثم حصلت على الجزء الأكبر من بوميرانيا الغربية، وبفضل هذه الأملاك الجديدة صارت للسويد رقابة فعالة على مصبات الأنهار الألمانية وهي الاودر، والألب، ووزر، وبذلك أصبحت لها السيادة على بحر البلطيق، أما فرنسا فقد استولت على أراضي الالزاس النمساوية ومعها بريساك، أما الأمراء الألمان فقد نالوا تأكيدات بحقوقهم في السيادة يحق لهم عقد المخالفات فيما بينهم، أو مع الدول الأجنبية، فأصبحت الإمارات الألمانية من الناحية القانونية في حكم المستقلة، الأمر الذي ترتب عليه أن صار تفكك أوصال الولايات الألمانية كاملاً، وقد نالت براندنيرج تعويضاً عن بوميرانيا الغربية التي أخذتها السويد، فأعطى اسقفيات (مجدبرج Magdeburg، وهالبرستادت Halberstadt ، ومينددنMinden ، وكامينCammin) إلى برندانبرج، ثم تدعمت حقوقها الوراثية على بوميرانيا الشرقية، واعيدت لها السيطرة على دوقيات كليفز، ورافتزبرج[9, PP. 24]؛ [8,PP.19-20].

تركت معاهدة وستفاليا عام 1648 مناطق ستراتيجية مهمة في قبضة السويد وطالبت الأخيرة بزعامة ألمانيا البروتستانتية استنادا إلى تضحياتها وحروبها في حرب الثلاثين. فكيف تستطيع براندنبورج –بروسيا بمكوناتها ان تحدق بها الدول المنافسة من بداية الدويلات الألمانية إلى أقصاها أن تبلغ من القوة حداً يتيح لها الدفاع عن نفسها ضد السويد، أو تسلط سكسونيا الدولة الموحدة المركزية السلطة[4، ص71].

صمم فردريك وليم Friedrick William (1640–1688) على اعادة بناء براندنبورج –بروسيا وجعلها سيدة شمال المانيا بحيث أطلق عليه مؤسس بروسيا والناخب الكبير، وكانت أراضيه غير مترابطة وموزعة في مختلف الولايات الألمانية تنقصها الوحدة السياسية، وكانت قدرته على العمل محدودة للغاية لأن الامبراطور ظل نظرياً سيد العواهل الالمان، لأن التفوق على دولهم الذي اعترف لهم به عام 1698في ختام

حرب الثلاثين عاماً لم يكن سيادة كاملة، بل ببساطة تفوقاً ارضياً وظل الدياط الذي يتألف من ثلاث هيئات الناخبين، وهيئة الامراء، وهيئة المدن يناقش وينعقد بانتظام في راتسبون Ratsbon وكان المكلف بإدارة الشؤون الالمانية تابعاً إلى فينا ومحكمة العدل العليا الذي يمتد قضاؤه على كل الامبراطورية تقيم دوماً في فيتزلار Vitzlar (مدينة في اقليم هس بألمانيا)، كان امبراطور الرومانية المقدسة يتمتع بجاه كبير في نظر الألمان وله نفو ذ واسع ولكنه لم يكن يتصرف باي سلطة واقعية وفي ما يقارب اربعة قرون في المدة ما بين (1439–1806) كان جميع الأباطرة من آل هبسبرغ امتازوا بالقوة والشجاعة باعتبارهم من آل هبسبرغ ومالكين لاراضي وراثية وهم زعماء الامبراطورية الرومانية المقدسة، وكانت واردات الامبراطور تجمع من خلال فرض الرسوم على يهود فرانكفورت وفورمز تضاف إليه الضريبة السنوية الضعيفة التي تدفعها المدن إلى الامبراطورية، وكان لا يحق لأمراء الولايات الألمانية جباية رسوم المعابر والجسور ولا سك العملة دون موافقة الامبراطور، فقد كان وحده يستطيع أن يخول الجامعات في الولايات الألمانية حق منح الدرجات الجامعية ومنح ألقاب النبلاء، مما ادى إلى حدوث نزاعات بين الأمراء من جراء هذا الامتياز، ولكنه لم يقصد من ذلك إلا سلطات نظرية مجردة من كل معنى عملي [14، ص274–275].

ان فردريك الكبير بصفته ناخب براندنبرغ كان يتبع الامبراطور وبصفته دوق بروسيا كان يدين بالولاء لملك بولندا مما أفقد البلاد البروسية وحدة الولاء السياسي التي كان يسودها الاضطراب السياسي والضائقة الاقتصادية التي تعرضت لها بسبب حرب الثلاثين عاماً من خلال ربط الاراضي التابعة له بعضها بالبعض الاخر، وذلك بالحصول على الأراضي الواقعة بينها وكذلك تحرير بروسيا من التبعية الاسمية لبولندا وتبعا لذلك استخدم الوسائل السلمية أو استغلال الخلافات بين الدول المجاورة أو الحروب فيما بينها بهدف تحقيق الأهداف، لذلك وضع فردريك الكبير منذ تسلمه الحكم سياسة واضحة المعالم لتغير أوضاع بلاده أخذ يعمل على تنفيذها تدريجيا طيلة مدة حكمه الطويلة متبعاً الخطوات الاتية [15،ص194]:

أولاً: تكوين جيش بروسي وطني قوي يدين بالولاء السياسي والإخلاص للحكومة .

ثانياً: العمل على انشاء سلطة مركزية قوية مطلقة موحدة لملكية مستبدة، وقد تمكن من تحقيق ذلك بعد ان جرد النبلاء ومجالسهم من السلطان السياسي وسلبهم امتيازاتهم الإدارية وأخذ منهم صلاحيات جباية الضرائب مما ساعده على تحقيق وحدة الحكم وإخضاع المقاطعات لإدارة مركزية واحدة، وتمكن من القيام بسلسلة من الإجراءات المتمثلة بإصلاحات اقتصادية فشجع الصنا عة والزراعة وبنى شبكة من الطرق والجسور والقنوات المائية وشجع على استصلاح الأراضي الزراعية.

ثالثاً: توحيد أجزاء بلاده والأقاليم المنفصلة عن بعضها بأراضي تابعة لدول مجاورة مثل بولندا.

ومن اجل تحقيق ذلك صمم فردريك المنتخب الأعظم على تشكيل جيش قوي لكنه واجه معارضة من مجالس المقاطعات الثلاث (براندنبورج، بروسيا، كليفز) التي كانت تفرض الضرائب على الشعب وتخطط سياسة انفاقها، حيث عارضت اقرار الضرائب اللازمة لتكوين الجيش لذلك قرر ان يجعل الضرائب والإدارة مباشرة تحت سيطرته، وفرض ضريبة عامة على الأراضي، وقام بادماج المقاطعات الثلاث وتوحيد إدارتها وإضعاف الفوارق المحلية فيما بينها، وتمكن فردريك الكبير خلال مدة حكمه التي بلغت (48) عاماً أن يحقق هدفين أساسيين هما: توحيد الممتلكات واستغلال الأراضي، وقد بدأ بفرض ضرائب عامة سمحت له بتوفير أموالاً كثيرة هيأت الفرصة بتكوين جيش قوي منظم دائم[16،ص259].

وكان فردريك وليم يرى ان الجيش أساس قوة الدولة سياسياً واقتصادياً وجعله وسيلة أساسية لتوحيد ممتلكاته وجعل مرافق الدولة تتأثر بالروح العسكرية والحربية وبالشعور بالواجب والنظام والعمل والولاء[17,

P.215]. لذلك اهتم به اهتماما كبيرا وسلحه بالأسلحة النارية واختار الضباط من طبقة النبلاء الذي أعفاهم من الضرائب المباشرة ولكنه ألزم ابناءهم خدمته نبلاء صغارا "يونكر" في وظائف الجيش والإدارة العليا، وخلع عليهم الثياب العسكرية الفاخرة والمركز الاجتماعي المرموق ودربهم على الكفاية وعزة النفس، وقام بتسريح المرتزقة الذين لا يمكن الاعتماد على اخلاصهم المشكوك فيه، وكون جيشاً جديداً من رعيته مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً خاضعاً للحكومة، فقد وصل عدده في نهاية حكمه(30) ثلاثين الف جندي [16،ص259–260]؛ [4،ص71].

أدرك فردريك وليم ان توحيد بلاده يتطلب اعتراف بعض الدول الاوربية ولا سيما الطامعة في أراضي بروسيا الشرقية مثل السويد فضلا عن تصفية كافة الارتباطات الإقطاعية التي تربطه بملك بولندا [6،ص248]. لذلك انتهز فرصة اندلاع حرب الشمال في المدة ما بين (1655–1660) التي حدثت بين السويد وبولندا وتحالف مع السويد ضد بولندا في أول مرة، ثم تحول بالكامل ضد السويد إلى جانب بولندا والتي حدثت على مرحلتين الأولى تم عقد معاهدة ويهلاو Wehlau بين براندنبورج في التاسع عشر من ايلول 1655، والثانية في السادس من تشرين الثاني في بايدغوتش Bydgoszcz، ولذلك سميت معاهدة (ويهلاو–بايدغوتش) التي نصت على ان تكون لبراندنبورج السيادة بدل من بولندا على بروسيا الشرقية، وأعطت لأمير براندنبورج السيطرة على اقطاعية بيتوف Bytov، وليبوك Lebork، وإلزام الأمير بفك تحالفه المضاد لبولندا الذي كان قد عقده عام 1655 مع السويد وان يقدم الدعم بقوة عسكرية تعدادها نحو (6000) ستة الآلاف جندي للحرب ضد السويد، ولم ينته هذا النزاع الا بعد توقيع معاهدة اوليفا Oliva في الثالث من ايار 1660التي وقعت بين السويد وبولندا وحلفاء النمسا وبرانبورج في دير اوليفا قرب دانزغ بوساطة فرنسية التي نصت على احتفاظ السويد بليفونيا الشمالية، بينما سيطرت براندنبورج على بروسيا الشرقية وتنازلت بولندا عن كل الادعاءات بالعرش السويدي[18،ص14].

إلا أن الحرب التي خاضها فردريك وليم ضد السويد حينما غزا ملك السويد شارل الحادي عشر Charles XI (1655–1697) براندنبورج وهزيمة القوات السويدية في معركة فهربلن Fehrbellin في عام 1675 أوضحت مدى الشجاعة والإرادة القوية لدى جيشه من اجل تحقيق الأهداف المرسومة[19,P.106].

3– المبحث الثاني: التطورات السياسية لاسرة الهوهنزلرن في بروسيا (1688–1713)

اعتلى عرش امارة براندنبورج بروسيا فردريك الاولI Fricdrich (1688–1713) الذي خلف والده الناخب الكبير واتبع سياسة ابيه من اجل الحفاظ على السلطة والإدارة المركزية، إلا أنه لم يضف أراضي واسعة إلى اماراته رغم اشتراكه في غالبية الحروب الأوربية [20,P.109]. إلا أنه تمكن من أن يحصل على موافقة الامبراطور ليوبولد الاول Leopold I (1658–1705) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة لاعلانه ملكاً، ووعد الامبراطور بمساندته ضد فرنسا اثناء حرب الوراثة الاسبانية War of the Spanih Scuccession (1701–1713)(*)، مقابل ذلك ان يعترف به الامبراطور ليوبولد الاول ملكاً على بروسيا، بمعنى اخر اعتراف صريح من قبل الإمبراطورية الرومانية المقدسة بإعلان فردريك الأول ملكاً على بروسيا [13، ص251].

(*)حرب الوراثة الاسبانية (1701 – 1713): وهي المشكلة التي ثارت في أوربا، لان شارل الثاني الذي تولى العرش عام 1665 لم يعقب ولداً، فكثر المطالبون بالعرش وكان أشدهم لويس الرابع عشر، وتدخلت بريطانيا ضد فرنسا، الأمر الذي ادى إلى اندلاع حرب امتدت (1702–1713) انتهت بتوقيع معاهدة اوترخت عام 1713 بعد اندحار فرنسا، ومع ذلك فقد تم تعيين فيليب الخامس حفيد لويس ملكاً لاسبانيا.

ما يهمنا بموضوع البحث ان الامبراطور ليوبولد الأول التزم بوعده إلى الملك البروسي فردريك الأول وفي كاتدرائية كونجزبرج Konigsberg، عاصمة بروسيا الشرقية توج فردريك الثالث ملكاً في الثامن عشر من كانون الثاني 1701 تحت اسم فردريك الاول واصبحت مملكة بروسيا تطلق على جميع ممتلكات الملك التابعة لدولته الناشئة واعترف بمملكته وجميع املاك آل هوهنزلرن تحت تاج واحد [6، ص249].

وهكذا ظهرت دولة جديدة على درجة من القوة والاتساع بالقرب من مركز الإمبراطورية الرومانية المقدسة (الإمبراطورية النمساوية)، وبادرت الدول الأوربية لإقامة علاقات ودية مع بروسيا الجديدة وتكوين تحالفات دولية من أجل تحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية.

والجدير بالذكر فردريك الاول ان لم يدخل في المعارك الحربية الأوربية، بل ظل دائما في موقف الحياد اثناء الخلافات والحروب الأوربية المتعددة التي حدثت اثناء مدة حكمه الطويلة، وكان الهدف الرئيس من ذلك انه كان يفضل السلام والاستقرار بدلاً من الحروب من أجل تكوين ونشأة دولة بروسية قوية لها ثقلها وعظمتها وقوتها الحربية في القارة الأوربية.

شهد مدة حكمه ازدهاراً في فن العمارة في الولايات الألمانية وقد عرف فن العمارة انذآك باسم الباروك الذي يعد اسلوباً فنياً في ايطاليا ومنها انتقل إلى فرنسا واسبانيا ثم إلى بقية الولايات الألمانية وظهر بشكل واضح في فن العمارة في الكنائس الكاثوليكية في فرنسا واسبانيا وتستخدم كلمة باروك عادة لوصف فنون العمارة كالرسم والنحت وامتاز بالألوان الزاهية المذهبة والأعمدة الضخمة في الكنائس والمباني العادية وتعلم الألمان أصول هذا الفن من مجموعة من الايطاليين الذين وفدوا إلى الولايات الألمانية، وكان الايطاليون يرغبون في تناسي مرارة الحروب الدينية في القرن السابع عشر، وكان الباباوات والكرادلة من أشد المناصرين للفنون وكانوا يأملون في تخليد ذكراهم من خلال انشاء الكنائس والقصور المزينة بأجمل الزخرفة الأوربية[13، ص251–253].

لقد كانت الزينة هي الاغراء المتسلط على الباروك واستعملت بإسراف في صالة الاحتفالات في الملكية، وفي جناح قصر فينجر Venger الذي انشأه في درسدنDresden متاوس دانيال بويلمان Matthews Daniel Boyleman لاوغسطس Augustus ملك بولندا القوي (1670–1773) وشيدت الكثير من القصور الملكية في الولايات الألمانية المزخرفة بأجمل الألوان المذهبة الزاهية لا سيما شلوس شارلوتنبورج Schloss Charlottenburg وشلوس برلين الذي بدأه اندرياس شلوتر Andreas Schlöter عام 1698، وقد شيدت في الولايات الألمانية أروع التماثيل منها تمثال الفارس الراكب الذي صنعه ابرز المثالين في الولايات الألمانية للناخب الكبير والذي لم تنل منه كل قنابل الحرب ولا يزال الآن في ميدان شارلوتنبورج خارج برلين، وفي كونجزبرج أقام شلوتر تمثالا لفردريك الأول عقب تتويجه ملكا لبروسيا كما نحت يوليوس جليسكر Julius Glesker رأساً للعذراء مريم، ونحت الفنانون مجموعة من تماثيل للمسيح المصلوب في كاتدرائية بامبرج، واظهر نقاشوا الخشب مهارتهم في مقاعد المرتليسن الرائعة في كلوستركيرشي بسيليسياClosterchercy Psylicia [4، ص78].

توفي فردريك الاول في 25 شباط 1713 وتولى العرش البروسي ولده الملك فردريك فلهيم الاول Fricdrich Wlihelm I (1713–1740) أتخذ موقفاً مغايراً عن ابيه، فقد اعتقد بأنه من دون جيش ضخم مدرب، فإن بروسيا لن تَعد شيئاً وسيحط من قدرها بل ستكون مكانتها أقل من الدويلات الألمانية الاخرى[2، ص42]. واتصف بالبخل الشديد وفي الوقت نفسه كان جاداً استطاع ان يجمع السلطة في يده وعمل على اضعاف سلطة النبلاء والمجالس المحلية في مملكته وقام بسلسلة من الإجراءات المتمثلة بالإصلاحات الإدارية في الدوائر الحكومية وإصلاح الشؤون المالية وكان يمر في الشوارع والطرقات ويضرب كل رجل عاطل عن

العمل ويحثه على القيام بمختلف النشاطات في أي مكان كان، وتبعا لذلك أصبحت بلاده عبارة عن أسرة نشيطة جادة، الأمر الذي أدى الى ارتفاع مستوى المعيشة الاقتصادية، وقام السكان في مملكة بروسيا يجففون المستنقعات وزراعة الأراضي المتروكة. وشجع فردريك وليم الأول الصناعة فاستقدم مجموعة من الصناع البروتستانت إلى بروسيا مستغلا عملية الاضطهاد الديني التي حدثت في أوربا ضد البروتستانت فسعى إلى استقطاب هذه الجماعات المضطهدة إلى بلاده، ثم عمل المشروعات الإصلاحية، لا سيما إصلاح الضرائب وغيرها من الشؤون المالية [15، ص196–197].

لقد وجه الملك البروسي بالجيش اهتماماً كبيراً لأنه يمثل الساعد الأكبر للملك والأساس التي تعتمد عليه الدولة فازداد في عهده الجيش نحو (80,000) جندي واهتم بتنظيمه وتدريبه تدريباً عسكرياً منظماً وكان يستدعي الرجال استخدم فردريك وليم الأول حرساً كبيراً له اعتمد فيه على ضخام الرجال وسمى هذا الحرس باسم " حرس بوتسدام " وفتح باب التطوع في الجيش البروسي لجميع الصالحين من الرجال في انحاء الدول الأوربية ليستفيد من خبراتهم ونشاطهم واشتهر الملك البروسي انه كان مولعاً بالرجال الضخام، وقد طلبت منه هولندا علماء بروسيين ليدرسوا في جامعاتها فاجاب قائلاً :" إذا لم تعطونا رجالاً ضخاماً فنحن على غير استعداد لنعطيكم علماء بروسيين "[15، ص196–197].

اهتم الملك البروسي المذكور بالعلوم كالطب والاقتصاد والتعليم الإداري والفنون الحربية، ولم يهتم بالفلسفة والآداب قائلاً : " ذرة من العلم خير من جامعة زاخرة بأنواع العلوم الأدبية والفلسفية والإنسانية والمعارف الأخرى "[15، ص196–197].

كان الملك البروسي مقتنعاً بان قوة دولته ومكانتها في أوربا تعتمدان على قوة الجيش فطور فردريك الأول نظام الجيش الذي سار عليه سلفه بالاعتماد على جيش وطني يكون ضباطه من طبقة اليونكرز Junker وهم النبلاء الارستقراطيون. فأراد ربط هذه الطبقة بالدولة بأسرة الهوهنزلرن، وعد الضباط أنفسهم تابعين خاصين للملك، فأقام أكاديمية خاصة لتدريبهم في برلين عام 1722 وأمر بإعداد قوائم لأبناء النبلاء الذين تتراوح أعمارهم بين 12–18سنة ويقوم بنفسه باختيار الذين يدخلون إلى الأكاديمية لتدريبهم. وادخل في عام 1733 نظاماً جديداً يمكن عده الخطوة الأولى نحو الخدمة العسكرية الإلزامية، فبموجب هذا النظام قسمت بروسيا إلى كانتونات عسكرية، ويستلزم على كل واحدة منها توفير عدد من الجنود من الفلاحين ومن الحرفيين، أما الضباط والذين يجب ان يكونوا من النبلاء الارستقراطيين، فقد أمر الملك على ان تقدم كل عائلة نبيلة ارستقراطية على الأقل أحد ابنائها ليخدم ضابطا في الجيش البروسي، وكان حب الملك فردريك الأول للجيش كبيراً حتى أطلق عليه الملك الجندي وانفق أكثر من 80% من ميزانية المملكة البروسية على الجيش وعد من أقوى الجيوش الأوربية تسليحاً وتدريباً ومشاركة في الميادين الحربية [2، ص42–43]؛ [9,P.33].

4– المبحث الثالث: اسرة الهوهنزلرن في عهد فردريك الثاني (1740–1786)

يعد فردريك الثاني Friedrick II (1740–1786) مؤسس بروسيا الحديثة [21، ص].

أبدى فردريك الأكبر مقدرة فائقة على إدارة شؤون الحكم، وأظهر عقلية استبدادية مطلقة ونزعة نحو الحكم الفردي تحول معها وزراؤه ومعاونوه إلى موظفين مهمتهم تلقى أوامره وتنفيذها وأدرك ملك بروسيا أن وضع أسرة الهوهنزلرن في دولته تحمل ضعفاً في اطار تكوينها يفرض عليها استعمال جيشها بكثير من الحذر، فهي ذات إمكانيات اقتصادية محدودة وعدد سكانها قليل، ولا تكون وحدة جغرافية وهذه أهم نقاط ضعفها، وانطلاقاً من هذه المعطيات رسم فردريك سياسة لبلاده تنسجم مع أوضاعها وتحقق لها أهدافها تدريجيا ولا سيما تلك المتعلقة

بضم أراضي جديدة تساعد في اقامة الاتصال بين مقاطعاتها المتفرقة، وقد أمكن لهذا الملك تحقيق الكثير من أهداف بلاده عن طريق دأبه وإخلاصه في العمل جاعلاً من نفسه الخادم الأول لبروسيا مظهراً في القيادة موهبة عظيمة في الحرب والسلم مما جعل البروسيين يطلقون عليه بحق فردريك الثاني العظيم ، فقد ألغى الملك البروسي رقابة الصحف مما أكسبه محبة الشعب البروسي، ومنح حرية العبادة لجميع المذاهب الدينية في بروسيا، وألغى العقاب الجثماني الصارم، وأبطل حرس بتسدام، ورأى لا فائدة من حراس ضخام الأجسام [15، ص198].

بذل فردريك الكبير جميع مساعيه في السياسة الخارجية بعد وفاة الملك شارل السادسCharlrsVI امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (1711–1740)، وانتقل العرش الى ابنته ماريا تريزا (Maria Theresa1740–1780) بموافقة الدول الأوربية ولا سيما بروسيا، وأصبح للإمبراطورة سلطة عليا في الشؤون الأوربية وعدت من أقوى الحاكمات في تاريخ النمسا سببت وراثتها للعرش النمساوي اندلاع حرب الوراثة النمساوية في المدة ما بين (1740–1748) [5، ص119].

اتبع فردريك الكبير المبدأ الشهير القائل بأن " الغاية تبرر الوسيلة " وهذا المبدأ يتفق لا شك مع أهدافه ومخططاته السياسية وقد ألف كتاباً بعنوان "معارضة مكيافيللي "عارض فيه نظرية ميكافيللي التي تؤكد " إن جميع الوسائل صالحة "، اذا كانت ستقود إلى زيادة قوة الدولة، الا حينما وصل إلى الحكم أخذ يتصرف كما كان يفعل "الأمير في كتاب ميكافيللي والدعوة إلى تبرير الوسيلة بالغاية طرحها المفكر والفيلسوف السياسي ميكافيللي MechiaVelli (1469– 1527) في كتابه " الأمير "عام 1513، وأثر هذا الكتاب على سياسة ملوك أسرة الهوهنزلرن في بروسيا لا سيما فردريك الكبير ملك بروسيا الذي اشتهر بحروبه المتواصلة وصولاً إلى تحقيق الوحدة السياسية للولايات الألمانية. [113، ص255].

صمم فردريك الكبير على توسيع ممتلكات الهوهنزلرن في بروسيا وادعى ان سيليزيا التي كانت ولاية نمساوية غنية جداً بخيراتها وتشكل جزء من ولاية براندنبورج وخاض معركة ضد النمسا وقد استطاعت قواته اكتساح سيليزيا عام 1741 بعد هزيمة الجيش النمساوي في موقعة " ملوتز Melutz " وكان من أهم نتائجها:

اولاً : حققت بروسيا نجاحاً سياسياً على النمسا ، الأمر الذي أدى إلى توجيه أطماع الدول الأوربية الأخرى في أملاك ماريا تريزا .

ثانياً : تشكيل تحالف فرنسي –بروسي– اسباني – بافاري – سكسوني ضد النمسا.

ثالثاً : اندلاع حرب أوربية جديدة عندما زحف الجيش الفرنسي على ألمانيا مدعوماً من الجيش البافاري.

ازدادت مخاوف ال هوهنزلرن من اتساع النفوذ الفرنسي فعقد الملك البروسي فردريك الكبير مع ماريا تريزا معاهدة سرية كلين شفلندورفKlein Schweffendorf عام 1741 التي نصت على حياد بروسيا مقابل منحها سليزيا العليا، إلا أن الملك البروسي لم يثق بوعود ماريا، فنقض العهد وقاد جيشه على ولاية مورافيا في الوقت ذاته، إلا أن بقاء الفرنسيين والسكسونيين في بوهيميا وتمسكهم بها، أدى بفردريك الكبير إلى الانسحاب من مورافيا والتوجه إلى بوهيميا لمحاربة الجيش النمساوي، وحقق انتصارا كبيرا في موقعة ستوزتز Stozetis عام 1742، واعترفت ماريا لفردريك الكبير بسلطته على سليزيا ووقعت صلحا سمي " برزلو" اعترفت الامبراطورة بموجبه بملكية سيليزيا لفردريك الكبير، وهكذا انتهت الحرب السليزية الأولى واستطاعت ال الهوهنزلرن من توسيع ممتلكاتها بالقوة العسكرية في المدة ما بين (1740–1742) بضم سليزيا إليها [15، ص200].

استمرت المعارك بين المتنازعين في حرب الوراثة النمساوية وظلت فرنسا تحرز انتصارات متلاحقة ضد النمسا، ومع ان بريطانيا كانت تدعم النمسا إلا أنها اضطرت إلى عقد صلح مع فرنسا سمي (اكس لاشابيل X

La Chapelle) في 18 تشرين الاول 1748، والتي اعترفت فيها الدول الأوربية بحق الملك البروسي فريدريك الثاني الكبير في سيليزيا، وأعيدت جميع الأراضي الأخرى التي استولت عليها الاطراف المتنازعة إلى وضعها الذي كانت عليه قبل الحرب بين فرنسا والنمسا، وقد أنهى هذا الصلح حرب الوراثة النمساوية [22, P.125].

صممت إمبراطورة الدولة الرومانية المقدسة وملكة المجر وبوهيميا على استرجاع سيليزيا من بروسيا فعقدت معاهدة فرساي الأولىTreaty of Versailles في الأول من أيار 1756 بين النمسا وفرنسا، ولم يأبه فردريك الكبير من هذه المعاهدة لان بروسيا اتفقت مع بريطانيا أن تحرس الأخيرة هانوفر ولا تسمح للجيوش الروسية من اختراق الولايات الألمانية وفقاً لمعاهدة وستمنسرWestminster Convention 1756، الأمر الذي أدى بدولة روسيا أن تتفق مع النمسا ضد بريطانيا وبروسيا [32, P.193].

بادرت روسيا بتقديم الدعم المالي والعسكري إلى النمسا من أجل استرجاع سيليزيا من بروسيا، فعرضت عليها جيش تعداده نحو 80000 مقاتل للهجوم على روسيا ، فأصبحت هناك اطراف متحاربة الاول بريطانيا وبروسيا وفرنسا والنمسا، وانضمام روسيا اليهما، ولما علم الملك البروسي فردريك الكبير بذلك صمم على المبادرة بالحرب قبل أن يسبقه أعداؤه، فبدأ حربا أوربية في المدة ما بين (1756–1763) سميت حرب السنوات السبع The Seven Years' War شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ضد كل من فرنسا والنمسا[24، ص216].

أصبحت ال هانوفر وال هوهنزلرن متحالفان ضد ال هبسبرغ وال بوربون في هذه الحرب، وكان من أهم الأسباب لدخول بروسيا الحرب ضد النمسا لتوسيع ممتلكات ال الهوهنزلرن وزيادة نفودها السياسي في الولايات الألمانية وبذل جميع مساعيها لتوحيد هذه الولايات في دولة قوية موحدة من جهة والتنافس على المستعمرات بين بريطانيا وفرنسا في أمريكا من جهة أخرى [25,P.227].

انتهت الحرب بعقد معاهدة باريس Treaty of Paris في 10 شباط 1763، حيث ثبتت الحرب مركز بروسيا الجديد كدولة كبرى وجعلت بريطانيا الدولة الاستعمارية الكبرى في العالم على حساب فرنسا[15، ص202].

بقيت النمسا وحيدة بعد تخلي حلفاؤها عنها , وكان العثمانيون قد بدأوا بالتقدم في الدانوب واخذوا يهددون الممتلكات النمساوية في البلقان, فاضطرت ماريا تيريزا إلى القبول بالصلح مع بروسيا، وبدأت مفاوضات السلام في 3 تشرين الثاني 1762 سكسونيا, وانتهت بتوقيع معاهدة هيبرتسبيرغHypertsburg في 15 شباط 1763 بعد خمسة أيام من توقيع معاهدة باريس بين بريطانيا وفرنسا، وقد شملت هذه المعاهدة أحد عشر بنداً وثلاث فقرات منفصلة كان من أبرزها[26، ص151–152] .

1. اعتراف النمسا بسيطرة بروسيا على سيليزيا واعادة حالة ما قبل الحرب.
2. انسحاب القوات البروسية من ساكسونيا خلال ثلاثة اسابيع مع منح سكسونيا حق مرور قواتها نحو بولندا من خلال سيليزيا .
3. تخلي النمسا عن مقاطعة كلاتز Clatz الى بروسيا .
4. اعتراف فردريك الثاني بادعاءات ال هابسبرغ حول دوقية (مودينا) الواقعة شمال ايطاليا.

وتضمنت المعاهدة بعض البنود السرية ومن ضمنها ان يدعم فردريك الثاني باعتباره احد ناخبي الامبراطورية الرومانية المقدسة انتخاب جوزيف الثاني Joseph ll (1765–1790) ابن ماريا تيريزا امبراطورا على الامبراطورية الرومانية المقدسة.

لم تكن آل الهوهنزلرن في بروسيا مقتنعة بمجرد انتصار الملك البروسي فردريك الكبير على النمسا واستيلائه على سيليزيا لان الأجزاء الوسطى من مملكته براندنبورج وبوميرانيا بقيت منفصلة عن بروسيا الشرقية انفصالا كليا لوقوع بروسيا الغربية العائدة لبولندا بين الطرفين، فكانت مملكته منفصلة إلى شطرين لا اتصال بينهما في الشرق بروسيا الشرقية، وفي الغرب بوميرانيا وبراندنبورج، أما في الوسط فكانت أملاك بولندا الواسعة، وقد ساءت الأوضاع الداخلية في بولندا التي أدت إلى ضعفها وتشتت كلمتها، فكانت أوسع ممالك أوربا تمتد إلى مسافات بعيدة في سهول شاسعة لا حدود طبيعية لها، وسكانها من مختلف اللغات والأديان، فعلاوة على البولنديين كاثوليك، نجد الجرمان في مدن بروسيا من البروتستانت والروس في ليتوانيا أرثوذكس فضلا عن اليهود، ولم تنشأ في البلاد ملكية وراثية قوية، بل استمرت الدولة البولندية في حالة فوضى اقطاعية بفضل جهود النبلاء والاشراف الذي بلغ عددهم نحو المليون والنصف الطامعين في الأموال، وتمادوا أكثر من ذلك فقد حددوا سلطة ملكهم إلى أن أصبح عاجزا عن حفظ الأمن او حماية البلاد من الهجمات الخارجية، فلم تكن الملكية وراثية في بولندا، بل كان يجتمع النبلاء عند وفاة الملك السابق لينتخبوا ملكا جديد لهم، فالانتخاب من الأسباب الرئيسة للفوضى والشغب، ورأت الدول الأجنبية فيه خير وسيلة للتدخل بشؤون بولندا فصارت تتدخل أما باستخدام القوة أو بالرشوة لتحصل على منتخب بما يوافق مصالحها [27، ص320–321] ؛[28,P.88].

استغلت ال الهوهنزلرن في بروسيا الأوضاع السيئة في بولندا واتفق الملك البروسي فردريك الكبير مع الدول الأوربية لا سيما النمسا وروسيا لاقتسام المملكة البولندية ، فكان التقسيم الأول لبولندا عام 1772 بين بروسيا والنمسا وروسيا مثيرا لا سيما ان هذا التقسيم تم بدون حرب وتكاليف[7، ص260].

وبموجب هذا التقسيم استحوذت روسيا على المنطقة الواقعة حول مدينة فيتبسك Vitebsk, واستحوذت النمسا على المنطقة الجنوبية التي تعرف باسم غاليسيا, كما حصلت بروسيا على بروسيا الغربية والمنطقة التي تدعى بالممر البولندي[29,P.87] .

وبذلك حقق البروسيين ما كانوا يتمنونه ، اذ أصبحت ممتلكات الهوهنزلرن رقعة واحدة تمتد من نهر الألب حتى حدود ليتوانيا، على ان هذا التقسيم أيقظ البولنديين وأعاد اليهم رشدهم فجددوا جهودهم بدافع الوعي القومي آملين أن يخلقوا حكومة ذات سيادة فعالة تستطيع أن تأمن على سلامة البلاد وتضمن حمايتها ضد القوى الخارجية[11، ص380].

اغتنمت الدول الأوربية الثلاث لا سيما بروسيا والنمسا وبروسيا انشغال أوربا بحروب نابليون واندلاع الثورة الفرنسية لاقتسام الأراضي البولندية فيما بينها فكان التقسيم الثاني لبولندا عام 1793، والتقسيم الثالث عام 1795الذي أنهى ما تبقى من الأراضي البولندية ومحت بولندا من خارطة أوربا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[30,P.32].

حقق فردريك الكبير نجاحاً مثيراً في تشكيل عصبة الأمراء (Fursten bund) التي ضمت بروسيا وهانوفر وسكسونيا وأربع عشرة إمارة ألمانية أخرى للوقوف بوجه طموحات الإمبراطور جوزيف الثاني التي تهدف زيادة النفوذ النمساوي في الولايات الألمانية[31, P.402]؛[17,P.246].

تكمن أهمية هذه العصبة في أنها أول محاولة للأمراء الألمان لإعادة تنظيم أنفسهم من دون تدخل أية دولة أجنبية، وسنلاحظ فيما بعد ان تلك الثنائية ستتقرر لصالح بروسيا وبنفس الطرق والوسائل التي أوجدها فردريك الكبير، لذا فان الملك البروسي لم يوجه ضربة قاصمة ضد الإمبراطورية الرومانية المقدسة فحسب بل توقع ومهد الطريق لتشكيل تنظيم جديد لعموم ألمانيا، وذلك التنظيم الذي ستصبح بروسيا والنموذج البروسي به الجوهر والسائد. ومن هنا كان مهماً للولايات الألمانية، حسب اعتقاد ال الهوهنزلرن سيادة المبادئ والممارسة

البروسية بتركيبتها الاجتماعية الصارمة ونظام حكومتها الأوتوقراطي والتركيز الأساس على القوة العسكرية المتمثل بالجيش البروسي المسلح بالأسلحة الحديثة ومطبقاً لجميع الخطط العسكرية التي اختطها الملك البروسي وتحقيق ذلك كله في دولة بروسية تهيمن على جميع الولايات الألمانية، وتبعا لذلك فأن عصبة الأمراء بانها خطوة اولية نحو توحيد ألمانيا بزعامة بروسية [2،ص46–47].

ومن أهم الانجازات التي اهتم بها فردريك الكبير فقد أحيا المجمع العلمي في بروسيا، وقام بتنظيم الأمور الاقتصادية ولا سيما الزراعية والصناعية، واهتم بصناعة الحرير، وعمر الأقاليم المتروكة وحفر مجموعة من الترع وجفف المستنقعات وأدخل جميع الأساليب الحديثة على الجيش البروسي وتدريبه وتحديثه، واهتم بالفنون الجميلة والآداب فضم إلى حاشيته الشاعر الفرنسي الشهير فولتير Voltaire (1694 –1778)، فضلا عن ذلك منح للجميع الحريات الدينية والسياسية[15،ص201].

5– المبحث الرابع: التحديات السياسية التي واجهت أسرة الهوهنزلرن في بروسيا لتنفيد مشروع تجميع أراضيها ووحدتها (1786–1861)

توفي فردريك الكبير في 17 اب 1786 بعد حياة طويلة مليئة بالإرادة والعزم والتصميم استطاع أن يؤمن بلاده واتساع ممتلكات ال الهوهنزلرن لا سيما بعد ضمه سيليزيا، فخلفه الملك البروسي فردريك وليم الثاني Friedrick William II (1786–1797) الذي قام بسلسلة من الإجراءات للتخفيف من الأعباء على الشعب البروسي، فأصلح نظام جباية الضرائب وشجع التجارة بتخفيض الرسوم الكمركية وأنشأ الطرق وشجع النظام التعليمي في المدارس والجامعات، وسمح بقبول كتاب ألمان في أكاديمية الفنون البروسية، ووقع فردريك وليم الثاني تحت تأثير القس جوهان كريستوف فون فولنر Johann Christoph von Follner (1732–1800)، وقدم الملك البروسي الدعم لفولنر في 9 حزيران 1788فقد أُصدر المرسوم الديني الشهيرة الذي منع الوزراء إنجيلية الإنجيليين من تعليم أي شيء غير وارد في رسالة كتبهم الرسمية، ووضع المؤسسات التعليمية تحت إشراف رجال الدين الأرثوذكس، في 18 كانون الأول 1788 اصدر قانون الرقابة الجديد، لتأمين أرثوذكسية جميع الكتب المنشورة، وقام بإنشاء نوع من محاكم التفتيش البروتستانتية في برلين في 22 شباط 1791المراقبة جميع التعيينات الكنسية والدراسية[32,P. 270].

كان الهدف الرئيس من مرسوم فولنر الوقاية من الصراعات الدينية بفرض نظام بحدود ترعاها الدولة والحفاظ على استقرار المجتمع المدني، نظراً للانقسامات الطائفية داخل المجتمع البروسي، بشكل أساسي بين اللوثريين والكالفينيين وأيضاً الكاثوليك على نحو متزايد[32,P. 270].

في الوقت الذي دخلت فيه الثورة الفرنسية مراحل تنذر بالخطر، لم يخش فردريك وليم الثاني ملك بروسيا من الثورة الفرنسية عند اندلاعها، إلاّ أن هناك أسباب أدت إلى تدهور العلاقات بين الأمراء الألمان عامة وبروسيا خاصة من جهة وبين فرنسا من جهة أخرى. أما الجمعية الوطنية الفرنسية فقد الغت الحقوق الاقطاعية التي كان الأمراء الألمان يتمتعون بها في الالزاس بموجب معاهدة وستفاليا من دون دفع تعويضات لهم. وقام الأمراء الألمان من جانبهم باحتضان النبلاء الفرنسيين الذين أجبروا على ترك بلدهم بعد مصادرة أراضيهم وبتشكيل جيش معارض منهم لنظام الجيروند في فرنسا. وبهدف توسيع حدود فرنسا إلى ((حدودها الطبيعية)) أعلنت الجمعية التشريعية الفرنسية عن نيتها نشر مباديء الحرية والاخاء والمساواة في أوربا وانها ستدعم أي ثورة تندلع في الدول الأوربية ضد نظام الحكم الالهي السائد فيها. ووصلت أسماع الألمان شائعات تؤكد تصميم فرنسا على ضم أراضي الراين إلى فرنسا مما جعلهم يضغطون على حكوماتهم لشن حرب ضد فرنسا. بل إن فردريك

وليم الثاني كان يطمح في احتلال وضم أراضي الراين إلى مملكته وتوصل الأخير إلى تشكيل حلف دفاعي بروسي – نمساوي في 7 شباط 1792 الذي نص على مساعدة كل طرف للآخر ضد أي هجوم فرنسي، وعلى اطلاق يد بروسيا في بولندة[2، ص52].

وبعد معارك طاحنة حقق الفرنسيون نجاحا سياسياً وعسكرياً على البروسيين والنمساويين في ضم أراضي الضفة الغربية من نهر الراين واحتلوا بلجيكا وهولندة[33,PP. 253-255].

قادت الهزائم البروسية العسكرية إلى فقدانها أراضي ألمانية وبسبب تدهور وضعها المالي الأمر الذي قاد فردريك وليم الثاني إلى توقيع معاهدة بازل في 2 نيسان 1795 التي اعترفت بروسيا بموجبها بضم فرنسا لأراضي الضفة الغربية لنهر الراين إلى أراضيها، ووقعت الدويلات الألمانية سكسونيا وهانوفر وساكس – فايمار وهس – كاسل ودويلات اخرى اتفاقيات مع فرنسا التي وعدتهم بالاعتراف بحياد المنطقة الألمانية الواقعة إلى الشمال من نهر الماين[34,P.214]؛ [17,P.273].

يتضح مما سبق ان بروسيا خسرت مكانتها التي كانت تتمتع بها في ألمانيا بعد توقيع صلح بازل لأنها شتت ممتلكات ال الهوهنزلرن بعد ان سمحت لفرنسا والمطالبة بأراض ألمانية في شمال ألمانيا تعود إلى أمارات ألمانية، فان بروسيا عرضت للخطر الدور الذي تظاهرت بالقيام به وهو دور حامٍ للمصالح الألمانية.

توفي فريدريك وليم الثاني في 16 تشرين الثاني 1797 وخلفه ابنه فريدريك وليم الثالث Frederick William III (1797–1840) [33,P.73] .

وامتدت تأثير الثورة الفرنسية إلى الدول الأوربية، واستمرت فرنسا بحروبها ضد النمسا ، حيث دارت معركة بين الدول الثلاث فرنسا وروسيا والنمسا في استرلتز Austerlitz شمالي فينا اسفرت على هزيمة النمسا وعقد معاهدة فيما بينها وبين فرنسا معاهدة برسبورغ Pressberg في 16 كانون الاول 1805 التي تنازلت النمسا بموجبها عن ممتلكاتها في شبه الجزيرة الايطالية وحول بحر الادرياتيك وطردت من ألمانيا وأنهت الإمبراطورية الرومانية المقدسة [35,P.279].

اتجهت فرنسا إلى انشاء تنظيم سياسي أطلق الاتحاد الكونفدرالي للراين ضم ست عشرة دويلة عام 1806 استهدف منه تزايد النفوذ الفرنسي في الدويلات الألمانية، وأن يكون هذا الاتحاد تحت الحماية الفرنسية، وقد اضطر الامبراطور فرنسيس الثاني Francis II (1804–1835) التنازل عن لقبه التاريخي إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وسمى نفسه إمبراطور للنمسا[16، ص332] .

اتضحت أهداف فرنسا تجاه بروسيا إذ كان هذا الاتحاد بمثابة دولة منافسة لها فضلا عن ذلك مرابطة القوات الفرنسية في جنوب وغرب ألمانيا فقد أرسل ملك بروسيا فريدريك وليم الثالث انذاراً إلى نابليون طلب منه جلاء القوات الفرنسية وانسحابها إلى غربي الراين، إلا أنه رفض الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحرب بين الدولتين بروسيا وفرنسا [16، ص333] .

استطاع جيشان فرنسيان في الرابع عشر من تشرين الأول 1806، أحدهما بقيادة نابليون من انزال هزيمة عسكرية ماحقة بالقوات البروسية في معركتين، الأولى في بينا Jena والثانية في اورشتات Auerstadt ولم يمض اكثر من أسبوعين حتى صارت براندنبورج بأسرها تحت السيطرة الفرنسية، وأدت انهياراً تاماً لمعنويات البروسيين الذين انهزموا شر هزيمة تلاحقهم القوات الفرنسية التي دخلت برلين في 27 تشرين الاول في العام ذاته، ثم قامت فرنسا بتحويل سكسونيا إلى مملكة وضمها إلى اتحاد الراين وتبعتها " ويمر " وأربع أمارات صغيرة وألف من برونزويك، و" هس كاسل " مملكة سميت وستفاليا، وهرب ملك بروسيا فريدريك وليم الثالث الى كونجزبرج، وفقدت آل الهوهنزلرن ممتلكاتها وقلصت أراضيها إلى نصف ما كانت عليه سابقاً وفرض عليها

غرامة حربية وقلص جيشها إلى (42) الف جندي وان تحتل أراضيها قوات فرنسية. وهكذا خضعت بروسيا إلى الاحتلال الفرنسي[36، ص47–48] .

ومن الجدير بالذكر ان فرنسا حددت بشكل حاسم خططها في الدويلات الألمانية، فقد أخضعت الساحل الشمالي الغربي الألماني تحت السيطرة العسكرية، ووضعت حاميات فرنسية في الموانئ البروسية ولا سيما ميناء دانزكDanzak، وأغلقت الأنهار الألمانية أمام التجارة الخارجية، واستهلت فرنسا حربها الاقتصادية ضد بريطانيا من برلين عندما أصدرت مراسيم برلين في تشرين الثاني 1806 أعلنت بموجبها إغلاق الموانئ الفرنسية والحليفة ضد التجارة البريطانية لتحقيق هيمنة اقتصادية فرنسية على القارة الأوربية وتأثرت ممتلكات ال الهوهنزلرن وأراضيها بهذه الحرب الاقتصادية فأنهارها خالية من السفن التجارية، الأمر الذي أدى إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية[37,PP.64-65] .

أوقد المفكرون البروسيين الشعلة الوطنية في الدويلات الألمانية، امثال الجنرال البروسي نايتهارد فون كنايسينو N.Von Gneisenau (1760–1831) وقد كتب الأخير عام 1807 قائلاً: ((أيقظت مبادىء الثورة في الفرنسيين جميع القوى وأعطت لكل طبقة اجتماعية الفرصة الملائمة للعمل، فاستعد الرجال الشجعان لقيادة الجيش، وهب كل فرد لتولي المراكز الإدارية الرئيسية في الدولة، ما أعظم القوة التي لا حد لها والتي ترقد مستقرة غير مستثمرة أفكارهم في قرار الشعب! إذ تعيش في صدور آلاف من المواطنين شخصيات فذة غير أن ظروفهم الصعبة تحول دون تفتحها وازدهارها. لماذا لا تستفيد الدولة من هذه القوى المضمونة بفتح المجال أمام هذه العقول النيرة حيثما تكون، وتشجيع المواهب والفضائل بغض النظر عن الطبقة والمكانة التي انبثقت منها ؟ لقد استغلت الثورة الفرنسية طاقة الشعب الفرنسي بكامله بوضعها الطبقات المختلفة في قاعدة اجتماعية ومالية متساوية. فإذا أرادت الدول الأخرى أن تقيم توازن القوى السابقة فانه ينبغي عليها ان تأخذ بنتائج الثورة وبذلك تكتسب فوائد وتصبح القوى قادرة على تلبية طموحاتها السياسية وتطوير إمكانياتها الاقتصادية وان تضع جميع قواها العسكرية وفعاليتها الوطنية ضد الأعداء للتحرر من الظلم والاستغلال والاستبداد والقضاء على الفرنسيين وطردهم من الأراضي الألمانية ومنع تسرب شرارة الثورة في بروسيا)) [2، ص69–70] .

تأججت المشاعر الوطنية للبروسيين لاسترجاع ممتلكات ال الهوهنزلرن في روسيا وجميع أراضي الدويلات الألمانية من الفرنسيين لا سيما بعد فشل الحملة الفرنسية على روسيا في 2 حزيران– 29 كانون الاول1812 وكان سحق الفرنسيين للأراضي الروسية سحقاً كاملاً[38, PP.294-296] . فحاولت روسيا كسب يورك الضابط البروسي والقوات البروسية الى جانبهم ضد فرنسا ونجحت في ذلك بعد ان حصل يورك عل تعهد رسمي صريح من القيصر الروسي الاسكندر الاول في كانون الاول 1812 تعهد فيه بألا تلقى روسيا سلاحها ، قبل أن تعاد ممتلكات الهوهنزلرن في بروسيا بمعنى ان تستعيد جميع اراضيها التي كانت لها بين الدول الأوربية قبل عام 1806 وطبقا لذلك تم توقيع معاهدة كاليش في 28 شباط 1813 بين بروسيا وروسيا تعهدت كل واحدة منها بالامتناع عن عقد أي صلح مع فرنسا، ووعد الاسكندر الأول قيصر روسيا فريدريك وليم الثالث ملك بروسيا بأن تعود ممتلكات الهوهنزلرن إلى حدود بروسيا القديمة، وأن تنال الدويلات الألمانية حريتها، وصدر بعد ذلك تحذير لكل حاكم في الولايات الالمانية تضمن بأن أي ولاية ألمانية لا تنضم للحلفاء ضد فرنسا ستفقد استقلالها بعد النصر، وعندما يحين وقت التسويات النهائية ستوضع أراضيها تحت تصرف الحلفاء[39، ص59–60] .

وفي التاسع من تشرين الأول من العام نفسه وقعت النمسا وروسيا وبروسيا الحلف الكبير في تبلتيز Teplitz الذي ضمن الاستقلال للدويلات الألمانية وبعد هزيمة نابليون في معركة الأمم بالقرب من مدينة لايبزغ عام 1813 وعبور القوات الفرنسية المنهزمة نهر الراين باتجاه باريس انضمت الدويلات الألمانية الأخرى

سكسونيا وفرتمبورغ، برونزفيك، اولدنبورغ، هيس – دارمشتاد، ناساو، وفرانكفورت، وبتحريض من النمسا إلى التحالف الكبير وبضمانة تحقيق استقلالها. وهكذا وضعت النمسا المعوقات أمام آمال بروسيا لتوسيع ممتلكات ال الهوهنزلرن وتحقيق الوحدة الألمانية [40، ص27]؛ [41,P.129].

رفضت فرنسا الصلح وإقامة السلام وأعلنت اصرارها على مواصلة حربها، وتبعا لذلك ،وجهت قوات الحلفاء باريس، وازدادت بريطانيا مخاوفها من أن تتوصل الدول الحليفة إلى صلح منفرد مع فرنسا وقعت الدول الأربع الكبرى بريطانيا، روسيا، بروسيا، والنمسا على معاهدة شومون في التاسع في آذار 1814 التي كانت بمنزلة حجر الزاوية للمحفل الأوربي لفترة ما بعد حروب نابليون. وفيما يتعلق بأوربا الوسطى، نصت المعاهدة على أستعادة بروسيا والنمسا وسويسرة مكانتها وعلى الإبقاء على الاتحاد الكونفدرالي للراين ونصت المعاهدة على عقد مؤتمر دولي لبحث الوضع في أوربا النابليونية [2، ص77].

وهكذا فقدت بروسيا الفرصة لتوسيع ممتلكات ال الهوهنزلرن وتوحيد الأراضي الألمانية في دولة موحدة تحت زعامتها. ومثلت هذه المعاهدة انتصاراً للسياسة النمساوية تجاه ألمانيا التي حققت أهدافها في منع تأسيس دولة المانية موحدة بزعامة بروسية.

كانت الضربة القاضية للإمبراطورية الفرنسية الأولى (معركة واترلو Battle of Waterloo) في 18 حزيران 1815 في قرية واترلو قرب بروكسل عاصمة بلجيكا، ونهاية إمبراطورية نابليون بونابرت قاهر أوروبا الذي عاد إلى العاصمة الفرنسية وتنازل عن العرش الفرنسي، وتم نفيه إلى جزيرة سنت هيلانة[42,P.35]. وتم عقد مؤتمر فينا في 14ايلول1814 –9 حزيران 1815 لتحقيق التوازن الدولي في القارة الأوربية وما يهمنا من المؤتمر القرارات المتعلقة بالدويلات الألمانية وممتلكات ال الهوهنزلرن في بروسيا، فقد استولت الأخيرة على إمارة ببوزن Posen في بولندا وبروسيا الشرقية مع ميناء دانزك وثورن Thorn. ومنحت ايضاً النصف الشمالي من سكسونيا، وبوميرانيا السويدية وأجزاء شاسعة على جانبي الراين تشمل وستفاليا وكليف وكلونيا وتريفز وآخن ومنستر وأجزاء من لمبرج ولكمسبرج[36، ص64].

كان من أهم نتائج مؤتمر فينا تعزيز النفوذ البروسي في شمال غربي الولايات الألمانية، فبدلا من التجزئة التي كانت قد عاشتها الممتلكات البروسية في هذه المنطقة أصبحت ممتلكاتها كتلة واحدة تصل أراضي الراين بأراضي وستفاليا من حدود الأراضي المنخفضة واللوكسمبورغ حتى هانوفر، فضلا عن تشكيل اتحاد كونفدرالي بزعامة النمسا يتكون من (39) دولة ألمانيا مستقلة هدفه الرئيس هو الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي لهذه الدول[2، ص88].

ان الاتحاد الألماني حقق نجاحاً سياسياً فقد اختزل عدد الدول الألمانية المنضوية فيه بعد أن كانت نحو (300) حكومة مستقلة كبيرة وصغيرة في الدول الألمانية، وسهل قضية توحيدها في دولة ألمانية موحدة لاحقاً[16، ص347].

تجاهلت مقررات مؤتمر فينا أماني الدول الألمانية في تكوين وطن قومي موحد وكانت النمسا تخشى من قيام أية حركة قومية لأنها تتكون من قوميات متعددة، وتأجج الروح القومية يؤدي الى تحللها وبذلت النمسا جميع مساعيها من اجل ابقاء ألمانيا مفككة الأوصال حتى تمكنها من التغلب على حكوماتها منفردة بخلاف اذا كانت موحدة[36، ص69].

وجهت ثورة 28 تموز 1830 الفرنسية ضربة قوية لمقررات مؤتمر فينا الذي كان حرباً على الأفكار التحريرية والطموحات القومية للشعوب الأوربية، فقد انهارت سلالة ال بوربون وانتقل العرش الى أسرة اورليان،

وأحدثت صدى كبير في تأجيج الروح الثورية في الولايات الألمانية من أجل تجميع ممتلكات الهوهنزلرن وتوحيد أراضيها والتحرر من السيطرة الأجنبية[43، ص78]. التي انعكست في النشاط السياسي للصحافة في الولايات الألمانية ومنظمة الشباب الأكاديمية الألمانية التي نشطت اجتماعاتها في فرانكفورت وشتوتغارد عام 1831 التي صرحت على تقديم الدعم الفعال لحركات التحرر، وشكلت جمعية الصحافة الوطنية التي تضم الصحفيين الديمقراطيين الذين نجحوا في نشر مبادئ جمعيتهم إلى جنوب وغرب الولايات الألمانية ، فانتشرت بعض الصحف الليبرالية ونشر الأستاذان كارل فون روتيكKarl Von Rotic ، وكارل تيودر فيلكر Karl Theodore Vilcker في جامعة فرايبورغ Freiburg خلال الاعوام (1834–1844) الموسوعة السياسية التي نشرت بخمسة عشر مجلداً التي دعت إلى التمسك بالأفكار الحرة وأصبحت منهاجاً مضيئاً للحركة الليبرالية [44، ص44]؛[45,P.23]؛[33,P.92].

شهدت جنوب شرق الولايات الألمانية سلسلة من التظاهرات الشعبية في 3 ايار 1832 وبلغ عدد المتظاهرين نحو(30) الفاً من عدة دول ألمانية طالبوا بأنهاء التجزئة وإعادة الالزاس واللورين من فرنسا، واكدوا بان بروسيا هي الدولة الألمانية الوحيدة القادرة على تجميع ممتلكات ال الهوهنزلرن في دولة ألمانية بزعامتها على ان تكون حكومتها دستورية[46، ص167]؛ [47,P.60]؛ [35,P.297] .

واستمرت الحركات الثورية في مختلف الولايات الألمانية ابتداء من أوائل الثلاثينيات حتى أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر وصولاً لتجميع ممتلكات وأراضي الهوهنزلرن بزعامة بروسية .

توفي فريدريك وليم الثالث في 7 حزيران 1840، واعتلى العرش البروسي فريدريك وليم الرابع Frederick William(1840–1861) الذي منح شعبه الحريات السياسية والثقافية [41,P.119]. وظهرت في 3 نيسان 1848 مدرستان متعاكستان، المدرسة الأولى: هي الأغلبية التي تمثلت بأنصار ألمانيا الصغرى التي فضلت الاستبعاد التام للنمسا وبوهيميا عن ألمانيا واتحاد جميع الدول الألمانية تحت زعامة بروسية، ولا سيما شمال ووسط الدويلات الألمانية الذين كانوا يؤمنون بضرورة ان تحكم بروسيا جميع الولايات الألمانية وتضع جميع ممتلكات الهوهنزلرن تحت مظلتها، وأعلن درويسن Drewsen، أحد انصار هذه المدرسة ((بان الولايات الألمانية أنتابها الضعف والتجزئة وأصبحت عاجزة لثلاثة قرون بسبب التسلط النمساوي وتعززت السلطة النمساوية في أراضي الهوهنزلرن في الولايات الألمانية برجالنا الشجعان وأسلحتنا الحديثة، وبسبب سياسة العنف والقسوة التي مارستها النمسا فقد استبعد ثلث الشعب الالماني من وطنه المشترك)) [47,PP.101-102].

وعد انصار ألمانيا الصغرى ان بروسيا هي الدولة القوية القادرة على تجميع ممتلكات ال الهونزلرن ولها حق القيادة للولايات الالمانية الجديدة؛ ولأن بروسيا أرض المفكرين وفردريك الكبير والأدب الألماني الكلاسيكي وقادة حرب التحرير[44، ص203-206].

أما المدرسة الثانية هي من انصار تكوين المانيا الكبرى والمعارضة لمدرسة المانيا الصغرى التي أيدت ابقاء الروابط التقليدية بين الولايات الألمانية والنمساوية فأصروا انصار هذه ان تبقى النمسا وبوهيميا جزءاً من الدولة الألمانية الجديدة، بحيث تصبح ممتلكات الهوهنزلرن واراضيها موزعة على جميع الولايات الألمانية تنقصها الوحدة السياسية، وكانت الدول الكبرى من انصار هذه المدرسة؛ لأنها كانت ترغب بضم الإمبراطورية النمساوية إلى الولايات الألمانية لتقف بوجه محاولات بروسيا في الهيمنة على ألمانيا، والكاثوليك الذين يكنون الكراهية لبروسيا البروتستانتية[48,P.141].

مهما يكن من الأمر ، فان هده المشاريع تعد عاملاً محفزاً وممهداً لتجميع ممتلكات الهوهنزلرن تحت قيادة دولة ألمانية موحدة وصولاً إلى تحقيق الوحدة الألمانية .

انتهى عهد الملك البروسي فردريك وليم الرابع بسبب اصابته بمرض عقلي في 3 تموز1857، ونتيجة تفاقم هذا المرض عين اخوه الأمير وليم الأول وصياً في 3 تشرين الأول 1858 الذي حدد أربع ركائز رئيسة مترابطة بعضها ببعض تستند عليها الدولة البروسية: متمثلة بملكية أسرة الهوهنزلرن للأراضي الألمانية، والجيش القوي المسلح تسليحاً حديثاً، والبيروقراطية والطبقة الارستقراطية الزراعية، ورغم ان الأمير الوصي وليم الأول لم يكن ليبراليا إلا أنه أنعش آمال الليبراليين، فقد كان يؤمن بالدستور، وبوجود برلمان يناقش القضايا المتعلقة بالولايات، ويقدم التوصيات إلى الحكومة، لكنه كان يرى ان ملك بروسيا فوق الكل وغير مسؤول أمام أي سلطة باستثناء الله ، وفيما يتعلق بقضية توحيد الولايات الألمانية كان يؤمن بان بروسيا تتمتع بقوة فائقة في توحيد الولايات الالمانية قائلاً:((أن الله وحده يعرف متى واين وكيف يتم تجميع ممتلكات أسرة الهوهنزلرن ووحدة أراضي الولايات الألمانية بزعامة بروسية)) [49، ص192-193]؛ [47,P.112]؛ [35,PP.340-341].

ويتضح من ذلك ان الامير الوصي وليم الأول أصبح محط آمال الدوائر القومية لا سيما في بروسيا والولايات الألمانية قاطبة، واقتنع بأن القوة العسكرية هي الطريق الواضح لتحقيق طموحات الولايات الألمانية في تجميع ممتلكات الهوهنزلرن ووضع جميع الحلول المناسبة للمعضلات القومية التي تواجه الألمان الأحرار.

تعد حركة الوحدة الايطالية العامل الرئيس الذي أجج الشعور القومي في الولايات الألمانية عامة ولا سيما في بروسيا خاصة فنشوب الحرب بين بيدمونت Piedmont (تؤيدها فرنسا) والنمسا في 4 حزيران 1859 وأشاعت الخوف في الوقت نفسه بين الجميع من اصدائها الدولية، فالألمان كانوا يكنون الشكوك والريبة من الفرنسيين لأنهم اعتقدوا بأنهم يطمحون إلى احتلال اقليم الراين ومد الحدود الفرنسية مع الولايات الألمانية حتى نهر الراين كان الاعتقاد السائد بين الالمان بوجود اتفاق فرنسي –روسي على اطلاق يد فرنسا في حدودها الغربية مع الولايات الألمانية حال انزال الهزيمة بالنمسا في ايطاليا فانتشرت في نفوس الألمان موجة من الشعور المعادي لفرنسا. وتوقع اغلب الألمان في هذه اللاحظة ان تقف النمسا وبروسيا جنباً إلى جنب للدفاع عن الأراضي الألمانية ضد فرنسا ، ومما زاد من مخاوف الألمان من طموحات الفرنسيين في التوسع على حساب الولايات الألمانية ضم فرنسا مقاطعتي سافوي ونيس[50، ص190–193]؛ [42,P.174].

وفي 7 كانون الثاني 1861 أعلنت جميع الولايات الألمانية توحيد طاقاتها البشرية وإمكانياتها الاقتصادية وقواها العسكرية لتجميع أراضي وممتلكات الهوهنزلرن وإلغاء التجزئة السياسية للولايات الألمانية

وصولاً إلى تحقيق وحدتها السياسية بزعامة بروسية، وأعلنوا الألمان بأنهم متحدين في كرههم لفرنسا، تلك الكراهية التي استمرت حتى القرن العشرين[45,PP.80-81].

6- الخاتمة

أوضحت الدراسة ان الأسرة المالكة الألمانية الهوهنزلرن حكمت براندنبورج وبروسيا والإمبراطورية الألمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وكان رئيس الأسرة يعرف بالأمير أو المنتخب في القرن الثالث عشر ثم عرف بلقب ملك بروسيا في مطلع القرن الثامن عشر، ثم لقب إمبراطور ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند اعلان الإمبراطورية وتحقيق الوحدة الألمانية، ولم تكن ممتلكاتها تمثل دولة واحدة، بل كانت مجموعة من الدول ففي الوقت الذي كانت فيه براندنبورج وكليف تدخل في نطاق الولايات الألمانية، كانت بروسيا تخضع لمملكة بولندا، والنواة التي بدأت منها بروسيا هي مقاطعة براندنبورج في القرن الثالث عشر، كانت بروسيا الشرقية تجاور بولندا، واتضح ان المشكلة التي واجهت المسؤولين البروسيين الدفاع عن بروسيا أنها مجرد امتداد للسهل البولندي، فلم تكن لبروسيا حدود جغرافية يمكن ان نستند اليها جغرافياً وعسكرياً وسياسياً، ولهذا كانت مسؤولية الحكام من أسرة هوهنزلرن في برلين كبيرة ومعقدة، ولا سيما ان وراثة الهوهنزلرن لبروسيا، لم يؤد إلى قطع نهائي لما كان بين بولندا وبروسيا من علاقات اقطاعية، ولهذا عمل حكام هذه الأسرة على تكريس جهودهم من أجل التخلص نهائياً من هذه القيود الاقطاعية من خلال دخولها في حروب مستمرة، أما في الشرق فقد ضمت اسرة ال هوهنزلرن دوقية كليف الواقعة على نهر الراين عن طريق الورثة وكونتات مارك ورافنسبرغ، ومقاطعات صغيرة في غربي ألمانيا ،واتجهت نحو توسيع براندنبورج باتجاه شمال الولايات الألمانية وبذلك توحدت سلطة ال هوهنزلرن في فرع واحد من تلك الاسرة واطلق عليها براندنبورج –بروسيا، "دوقية بروسيا الشرقية "

كشفت الدراسة ان حكام بروسيا مارسوا دورا فاعلا في توحيد ممتلكات ال هوهنزلرن وتنظيم شؤون الولايات الألمانية والتنسيق مع سياسات الدول الأوربية الحليفة من خلال اتخاذ حكامها الخطط المنظمة والكفوءة من اجل ان تشق طريقها نحو تأسيس المملكة الحديثة عن طريق التحالفات العسكرية، وتحقق ذلك عند حصل اعتراف صريح الإمبراطورية الرومانية المقدسة بمملكة بروسيا بعد أن كانت دوقية، وأطلق على ممتلكات الهوهنزلرن في الولايات الألمانية اسم المملكة البروسية، واستمر حكام هذه الأسرة بحروبهم ضد الدول الأوربية لتوسيع أراضيهم وتحقيق الوحدة السياسية بين الولايات الألمانية تحت زعامة أسرة الهوهنزلرن.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

7- المصادر

1. عبد القادر احمد اليوسف، العصور الأوربية الوسطى 476–1500، منشورات دار المعارف، بيروت، 1967.
2. مهدي صالح هادي الجبوري، المانيا 1789–1871 دراسة في دور بروسيا في توحيد المانيا، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة المستنصرية، 2004.
3. Ludwig, E., The Germans, translated from the German by Heinz & Ruth Norden, London, 1942.
4. ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: فؤاد اندروس، ج33، منشورات المعرفة، بيروت، تاريخ وصول الباحث الى المصدر سنة 2019.

5. جلال يحيى، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى، ج2، منشورات المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1981.
6. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
7. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى اواخر القرن الثامن عشر، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.
8.Haffner, S., The Rise and Fall of Prussia translated by E. Osers (London, 1980).
9.Feuchtwanger, E.J., Prussia: Myth and Reality. The Role of Prussia in German History, London, 1970.
10. محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الاوربي في عصر النهضة، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.
11. روبرت بالمر، تاريخ العالم الحديث، اوربا من القرون الاولى حتى عام 1740، ترجمة : محمود حسين الامين، منشورات مكتبة الوفاء، الموصل، 1964.
12. ميلاد المقرحي، موجز تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي/ ليبيا، 1998.
13. ميلاد المقرحي، تاريخ اوربا الحديث 1453–1848، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي/ ليبيا، 1998.
14. ماتيو اندرسون، تاريخ القرن الثامن عشر في اوربا، ترجمة: نور الدين حاطوم، منشورات ار الفكر المعاصر، بيروت، 1996.
15. عبد الفتاح حسن أبو علية واسماعيل احمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، منشورات دار المريخ، القاهرة،2007.
16. زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر، منشورات دار المسيرة، عمان، 2012.
17. Maehl, W.H., Germany in Western Civilization,The University of Alabama Press, 1979.
18. صالح حسن عيسى العكيلي، بولندا1733–1795 (دراسة في التاريخ السياسي)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد, جامعة بغداد،1999.
19. OAkley, Stewart, A short History of Sweden, New York ,1966.
20. Henry Littlefield, History of Europe 1500–1848, New York ,1874.
21. عبد الغني ابراهيم عبد العزيز، محاضرات في تاريخ اوربا بين النهضة والثورة الفرنسية، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 1997.
22.Charles Morries, A new History of the United States (the greater republic) , Philadelphia , 1899.
32. Morgan Pierce, The Seven Years' War, Oxford,1962.
24. المستر أدجر ، تاريخ أوربا الحديثة واثار حضارتها، مطبعة المعارف، القاهرة, 1920، ص216.
25.Anderson Fred; Crucible of War: The Seven Years' War and the Fate of Empire in British North America, 1754 - 1766, Alfred A Knopf.
26. عباس حسن عبيس الوسمي، حرب السنوات السبع (1756–1763) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2011.
27. جفري برون، تاريخ اوربا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، منشورات الاهلية، بيروت، 2006.
28.Anna Kowalska-Pietrzak, History of Poland During the Middle Ages, Institute of History University of Lodz.

29.Littlefield, Henry W., History of Europe 1500–1848 ,New York ,1874.
30.Jerzy Lukowski and Hubert Zawadzki , A concise History of Poland, Cambridge University Press , 1971,P.32.
31.Barraclough, G., The Origins of Modern Germany, London, 1957, P. 402 ;
Maehl, Op. Cit., P.246
32.Clark ،Christopher Iron Kingdom: The Rise and Downfall of Prussia, 1600 to 1947, Cambridge University Press, 2006 .
33.Dill, M., Germany: A Modern History, The University of Michigen press, 1961.
34.Kann, R.A., A History of Habsburg Empire, 1526-1918, University of California Press, 1974, P.214.
35. Rodes, J. E., History of Germany, London, 1964, P. 279.
36. عمر الاسكندري, وسليم حسن، تاريخ أوربا الحديثة وأثار حضارتها، مطبعة المعارف، القاهرة،1920.
37.Tomoson, D. Europe Since Napolean, Penguin Books, Aulesbarg , Britain, 1983.
38.Henderson F. Ernest, A Short History of Germany, Vol.2, New York, 1944 .
39. محمد كمال الدسوقي، تاريخ أوربا الحديث1800– 1918، منشورات النهضة الجديدة، القاهرة, تاريخ وصول الباحث الى المصدر سنة 2019.
40.عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنيعي، التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، منشورات النهضة العربية، بيروت, تاريخ وصول الباحث الى المصدر سنة 2019.
41.Flenley R., Modern Germany History, London, 1964.
42. Gottschalk Louis and Donald Lach, Europe and the Modern World , United States, 1954 .
43.عمر عبد العزيز ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ اوربا الحديث والمعاصر 1815–1950، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، 1999، ص78.
44. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية يقظة القوميات الاوربية، ج2، منشورات دار الفكر، دمشق، 1969، ص44.
45.Carr, W., A History of Germany 1815-1945, London, 1969.
46. نادية جاسم كاظم الشمري ، الثورات الاوربية في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وتأثير العامل القومي في الوحدة السياسية (دراسة تاريخية)، بحث منشور في مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ، العدد 3، المجلد 8، 2018.
47.Pinson, K.S., Modern Germany .Its History and civilization , (New York , 1967) .
48.Grenville, I.A.S., Europe Reshaped 1848-1878 (Fontana –Collins, 1976).
49. كارلتون هيز، التاريخ الأوربي الحديث1789–1914، ترجمة : فاضل حسين، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1987.
50. صالح محمد العابد، حركة الانبعاث الايطالية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، (بغداد، 1981).